مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية

مدرس مساعد. فاتن حسين ناجي

الفصل الأول:- الإطار المنهجي

مشكلة البحث :-

إن للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية اثر كبير في الخطاب الإبداعي الراصد لتلك المتغيرات ولعل الكاتب المسرحي من أوائل اللذين اهتموا بتلك المتغيرات كون المسرح هو الفن الأول الذي يعبر وبصورة مباشرة عن قضايا المجتمع إذ انه يوفر وجهة نظر بناءة في حد ذاته، وعندما يتم استخدامه كجزء من الاحتجاج أو المعارضة، فإنه يميل إلى إنشاء ببساطة الخطأ في المسائل بدلا من تقديم حلول .وهذا يؤكد على إن ازدهار النقد في المجتمعات مرتبط ارتباطا وثيقا بأجواء الكتابة المنفتحة على التنوع والاختلاف وحرية الإبداع، وأنه كلما ضاقت هذه المساحة تحول فن النقد إلى تهكم واضح، وأصبح هذا النوع من التهكم يمثل للبعض أسلوبا تعبيريا ولغة رفض مختزلة في العقل الباطن للإنسان ، فهي بذات الوقت تكشف عن إحباط نفسي كبير ومواجهة سلبية للواقع ؛ لأن سياسة القهر وتكميم الأفواه وكثرة الثورات والتغيرات صقلت الكاتب العربي الذي راح يكتب انتقاداته بألوان حزنه وألمه.

كان العديد من زعماء العالم العربي يتابعون الانتقادات السياسية اللاذعة التي يرددها الأدباء، فمنهم من كان يعتبرها استطلاع رأي لسياسته، وآخرون يعتبرونها مؤشر صعود أو هبوط شعبيتهم ، وفي المسرح تحديدا يمكن التمييز بوضوح بين المسرح السياسي التهكمي والكوميدي، فالمسرح العربي التهكمي كان أقرب إلى الكوميديا السوداء، وقد تكون أبرزها مسرحيات محمد الماغوط الساخرة السياسية التي كتبها للقراء مثل المهرج والعصفور الأحدب والتي كتبها للعروض مثل ضيعة تشرين، وغربة وكأسك ياوطن، كانت أعماله مرآة عكست آمال وأحلام البسطاء وما يعانون من قهر على امتداد الوطن العربي.

إن الكتابة السياسية الناقدة اليوم تؤدي دورا مهما في الأحداث العربية الراهنة، وخلال الثورات التي شهدتها البلاد العربية في الآونة الأخيرة، طفا على السطح كم هائل من الكتابات السياسية أسهمت في تعرية حقائق طغاة الحكم التي كانت مطمورة عن المواطن العربي، وأدت دورا كبيرا في كسر حاجز الخوف الذي ظل واقفا في وجه هذا المواطن، وقد استطاع أصحاب هذه الكتابات إيصال رسائل سياسية تشي بتنامي الوعي لدى الإنسان العربي الذي قدم ولا يزال

يقدم ثمنا غاليا لحريته المسلوبة. وإمكانية تقبلها بصدر رحب مؤشرا ازدهار إلى انتعاش مناخ الحرية ومن كل ماتقدم يمكننا أن نصوغ مشكلة البحث الحال بالتساؤل التالي:

مامفهوم التهكم في مسرحيات محمد الماغوط المسرحية .

أهمية البحث والحاجة إليه :

١- يفيد البحث عموم الباحثين والدارسين والمشتغلين في المؤسسات الفنية والثقافية ذات العلاقة بالحركة المسرحية من حيث تقديمه دراسة تحليلية لانموذج من الكتاب المسرحيين العرب

٢- يتيح لناهذا البحث فهما أوسع بطبيعة التهكم لشخصية البحث والذي يمثل أنموذجا للعديد من الكتاب المسرحيين العرب .

هدف البحث :

يهدف البحث إلى الكشف عن التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية .

حدود البحث :

١. الحد الزماني :

يتمثل هذا الحد في النصوص المسرحية المنشورة من عام ١٩٦٦.١٩٩٩م .

٢. الحد المكاني :

النصوص المسرحية التي ألفها الكاتب داخل وخارج القطر السوري .

٣. الحد الموضوعي :

النصوص المسرحية التي تناولت التهكم عند الماغوط .

تحديد المصطلحات

التهكم لغوياً

تهكَّمَ / تهكَّمَ بـ / تهكَّمَ على يتهكَّم ، تهكُّمًا ، فهو مُتهكِّم ، والمفعول مُتهكَّم:

- تهكَّم فلانٌ فلانًا / تهكَّم فلانٌ بفلان / تهكَّم فلانٌ على فلان استهزأ به واستخفّ .
- تهكَّم على غيره : اشتدّ غضبه وحمقه .
- تهكَّم فلانٌ على الأمر الفائت : تندّم .

التهكم اصطلاحاً

في الفرنسية Jronie

في الإنكليزية Jrony

في اللاتينية Jronia

التهكم هو الكلام الذي يذكر في غير سياق التواصل المتعارف عليه بهدف النيل سلبا من مقولة أو فكرة أو معتقد أو كائن، فيكسر تتواتر مسار الحديث من المسار الجد إلى مسار هزل وهو فن يرسم الضحكة على الوجوه ولكنه يورث جرحا وينوي شرا على عكس التندر الذي

لا يهدف من وراءه الإهانة أو التعرض التهكم هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء [١].

والتهكم ايضا نوع من انواع اسماء التضاد وقوامه بان يقول المرء ضد مايريد قوله صراحة مصحوبا بنية السخرية والتهكم لون من السخرية يراد به انساب عيب الى شخص او تضخيم عيب في شخص وهذا التهكم يراد به اصلاح الشخص وتهذيبه اذن نحن نجد في التهكم " نوع من الزجر والردع الشبيه بالعفوية لكن اخف منهما وقعاً وان انفق معهما في الغاية منه وهي خدمة الفرد والمجتمع حيث يكون مبعث التهكم هو الرغبة في الاصلاح لذلك عدّة الناس اصلاح لشؤون الحياة"[٢] والباحثة تتخذ من تعريف احمدمحمدالحوفي للتهكم كتعريف إجرائي للبحث.

الفصل الثاني:- الإطار النظري

المبحث الأول :

<u>المحور الأول :مفهوم التهكم في القران الكريم</u>

ان للتهكم تاريخ طويل يمتد عبر المراحل والعصور المتعددة ولعل القرآن الكريم بين لنا تهكم الله عز وجل على كفار قريش في سورة ص حيث قال في فرقانه المبين "أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ" {أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَأوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}؟ أي هل لهم شيء من ملك السماوات والأرض؟ وهو إنكار وتوبيخ {فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ} أي ان كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء، وليدبروا شئون الكون؟ وهو تهكم بهم واستهزاء، قال الزمخشري: تهكم بهم غاية التهكم، فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق، والتصرف في قسمة الرحمة، وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيقٌ بالنبوة من غيره، فليصعدوا في المعارج التي يتوصلون بها إلى العرش،حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون، وهو غاية التهكم بهم.[٣]

يقول تعالى :(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون(٨٣))[٤].

تبين هذه الآية حال الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات ، و هي الأدلة الواضحة ، و البراهين الظاهرة . فإن الكفار فرحوا بما عندهم من الشبهات ، و ظنوا هذه الشبهات علماً نافعاً . وقد سمى الله – سبحانه وتعالى –ما عندهم من العقائد الزائفة ، وشبههم الداحضة– علماً ، من باب التهكم و الاستهزاء بهم[٥].

المحور الثاني :

مفهوم التهكم نفسيا وفلسفيا

التهكم: الاستهزاء، أو السخرية، وهو ما كان ظاهره جداً وباطنه هزلاً. وان التهكم عند المحدثين طريقة من طرق البلاغة، وهي أن تريد شيئاً وتظهر غيره، أي أن تعبر عما تريد أن تقوله بقول مضاد له. فتجيء بالذم في قالب المدح، أو بالجد في قالب المزح، أو بالحق في قالب الباطل. والغرض من هذا التعبير المخالف للحقيقة تقويم السلوك بطريقة الفكاهة، وسرعة البديهة. لأن النفوس تستعذب الجد الذي يعرض عليها بثوب الهزل، وفي كتاب البخلاء للجاحظ نماذج كثيرة من هذا التهكم. والفرق بين المتهكم والمرائي أن المتهكم لا يتهكم إلا للإيحاء بالحقيقة على حين أن المرائي لا يبغي بكذبه إلا ستر الحقيقة وإخفاءها في سبيل مصلحته. [٦]

ولعل أهمية التهكم لاتندرج فقط لدى اتجاه دون اخر من الاتجاهات الفلسفية كانت ام البلاغية ام السياسية فهو بمثابة تلك الأداة التي يمكن للجميع استخدامها فهو "اداة دقيقة في ايدي الفلاسفة والكتاب اللذين يهزؤون بالعقائد والخرافات ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم وهي حينئذٍ تكون لذعاً خالصاً وقد تستخدم برقة وحينئذ تكون تهكماً وعلى هذا فان اللذع والتهكم لونان الوان السخرية"(٧).

اما عند سقراط فطريقة التهكم هي السؤال عن الشيء مع إظهار الجهل به. وأول هذه الطريقة أن تتجاهل حتى يظن أنك جاهل، وأن تلقي على محدثك بعد التسليم بأقواله أسئلة تثير الشكوك في نفسه، حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض، واضطر إلى التسليم بجهله.

حيث ابتدع سقراط منهجًا جديدًا في التفكير والمحاورة يقوم على أمرين:

١-التهكم: بناه على تصنُّع الجهل، والتظاهر بالتسليم لوجهة نظر الخصوم، ثم الانتقال إلى إثارة الشكوك حولها، ثم يستخلص من آراء الخصوم لوازم لا يستطيعون الالتزام بها، لكونها متناقضة مع آرائهم ومعتقداتهم، وبذلك يوقعهم في الحرج والتناقض، وكان قصد سقراط من هذا تنقية أذهان الناس من المعلومات الفاسدة، وتطهيرها من القضايا الكاذبة والمعارف الخاطئة التي ورثوها عن السوفسطائيين.

٢-التولد: أي تولد الحقيقة من نفوس الخصوم، من خلال استنباطها عن طريق توجيه الأسئلة إليهم في نسق منطقي وترتيب فكري، ولم يكن حواره ينتهي إلى نتيجة معينة، وإنما كان القصد منه تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ، وإلى أن المعاني موجودة في النفس، ولا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار.

والنفس البشرية تلجأ في غمرة قهرها وكربها الى سلاح التهكم كسبيل للتخلص من اعباء الحياة فتدخل النفس في حروب مع الياس من الواقع المؤلم فالانسان المحروم من كل ما يرجوه

ان يتوفر له في حياته لا يجد بداً من أن يبحث عن متنفس عن ذلك الكرب والحرمان " فالجماهير المحرومة تحاول ان تنفس عن كربها بالسخرية والتهكم"(٨).

وعالم النفس **يرت** يؤكد على ان التهكم مرتبط بالدرجة الاولى بالانفعال الذي يكمل لدى الانسان حيث يقول "ان هناك نوع من الانفعال الذي ينطلق او يتحرر من طريق النوادر التهكمية والدعيات السافرة. وبذلك يرتبط بنوع الانفعال الذي يكمن لدى الانسان" (٩).

وهنا ومن ماتقدم نجد في التهكم وسيلة للسخرية من المعوجين في المجتمع وهذه السخرية هي التي تحول بين الانسان والكره وذلك لان الانسان ان لم يتهكم ويهزء بالأخر المعّوج فان الغيظ لن يخفف وسوف يتزايد ولهذا تكون السخرية وسيلة للتخفيف عن الغيظ والكره. فالتهكم سخرية "او ضرب من السخرية والسخرية تختلف عن الهزء لان الهزء لعب الفكر المازح الماكر لعبا مرا او هجاء فالسخرية اكثر من مجرد نقد او مراقبة لانها نوع من الشتيمة التي لاتغتفر غير ان التهكم نوع خاص من هذا الانتقاد الساخر يتميز عن السخرية المباشرة بخصائص وصفات وباساليب وسبل "١٠ .

والتهكم هو أحد الوان السخرية المهمة سواء أكان تهكماً اجتماعياً او غير ذلك واهمية التهكم تكمن في صورة المبالغة والمفارقة والجمع بين النقائض " فالتهكم هو لون من الوان السخرية المتعلقة او الفلسفة الساخرة. ومن هنا كان التهكم الاجتماعي صورة من نظرة صائبة الى الحياة والاحياء واشعاعاً من مزاجه وتفكره. وهو في الوقت نفسه صورة للمجتمع الذي يتهكم به الساخر. على ان التهكم قد يعتمد على المبالغة كما يعتمد على المفارقة والجمع بين نقيضين لابراز معالم وتحسيم الصورة"(١١)

ولهذا يكون الانسان الساخر المتهكم باحتياج متزايد الى بصيرة واعية وعليه ان يمتلك خيال وبهذا يكون الساخر المتهكم قد حقق هدفه في " الاصلاح والأكمال فمبعث التهكم الرغبة في الاصلاح وهو الوسيلة للسخرية عن المعوجين فالتهكم والسخرية يكون سلاحاً في الأزمات"(١٢).

وقد يتهكم الانسان بنفسه احياناً وهناك عدة اسباب لتهكمه هذا فاما قد يكون " تنفيساً عن غيظ مكتوم او صدى لاستهزاءه بالاحداث ويكون ضرب من التعالي على كوارث الدهر ومفارقاته وقد يتهكم الشخص بنفسه لانه يعرف من فحوى السؤال الموجه اليه ان الغرض التهكم به اورغبة في التخلص من مأزق او ينجو من عقوبة"(١٣).

والتهكم من صورة السخرية الشفافة التي ليس من السهل تعريفها ولكنها تعرف بالذهن اللماح " والفرق بينهما وبين الهزل الذي يراد به الجد ان التهكم ظاهره جد وباطنه هزل والهزل الذي يراد به الجد على الفكر منه. فافضل الامر في التهكم ان تقول قولاً وانت تريد ضدهُ"(١٤)

والتهكم الاجتماعي يحقق عدة فوائد أو لهما أن المجتمع فيما يبدوا من عيوب يضيق بها كثير من الناس وهم لا يستطيعون أن يحبسوا ضيقهم ولا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقاوموا هذه العيوب وبالتالي لا يجدون سوى التهكم بهذه العيوب ليخففوا عن آلامهم . وايضاً هناك عيوب اجتماعية تحمل نوع من التصلب والجمود والتخلف عن مجاراة المجتمع ومسايرة المثل الأعلى ولا سبيل أفضل من التهكم [١٥].

بواعث التَّهَكُّم

كما أنَّ الضَّحك جزءٌ من طبائع الإنسان كذلك شأن التَّهَكُّم، ولكنَّهُ يختلف عنه من حيث مبدأ ارتباط النَّعت بالمنعوت، فالضَّحك خاصَّةُ جِنْسٍ، ولكن التَّهَكُّم خاصَّة فردٍ، ويشبه ذلك العلاقة بين التذُّوق الفني والجمالي، والإبداع؛ فالتَّذوق خاصَّةٌ عامَّةٌ للإنسان، وإن تفاوتت وتباينت، أمَّا الإبداع فهو خاصَّةُ أفراد. بمعنى أن التَّهَكُّم فنٌّ، والفنُّ بحاجةٍ إلى موهبةٍ والموهبةُ لا توجد عند كلِّ النَّاس. فالتَّهَكُّم إذاً واحدٌ من فنون الإضحاك وأساليبه، وأن تجعل إنساناً أضحوكة لك أو لغيرك فهذا يعني أن تخفضه دونك ودون الآخرين، وخفض الآخر يقابله التَّعالي عليه، والتَّعالي إمَّا أن يكون طبعاً أو أن يكون تشفِّياً، فإن كان طبعاً كان أصله إما تكبُّراً أو غروراً أو ميلاً إلى الدَّعابة والفكاهة. وإن كان تشفيَّاً إمَّا أن يكون حقداً أو حسداً أو هزءاً أو استنكاراً لأمرٍ غير مقبولٍ ولا مستساغٍ. ولعلَّنَا لا نبالغ إذا قلنا إنَّ الجاحظ قد حوى ذلك جميعه تقريباً في شخصه.

المحور الثالث:

التهكم في المسرح العالمي

ان الكاتب الساخر هو كاتب اقرب ما يكون محارب في معركة ضد ما يواجه الواقع من سلبيات والمحارب دائماً يكون شجاع لا يخشى في الحق لومة لائم كما يقال حيث ان السخرية لابد ان تكون " سخرية عارية من كل تزويق وصارمة نارية لا تخشى أحداً مهما كانت مرتبتهُ الاجتماعية ولا تكترث بشيء مهما كانت منزلتهُ " [١٦]

وهذا ما يؤكد لنا ان القادر على السخرية هو " الشخص البارع التصوير ، السريع الملاحظة ، الدقيق المقارنة ، الحاضر البديهية ، المتخير اللفظ الموجز ، ذو الأسلوب السهل والكلمات المعبّرة والمعتمد على التعريض والتلويح والكناية والرمز واللفته والإشارة " [١٧] .

وكذلك هناك الحالة السياسية للبلد التي تجعل الحكام يستبدون بظلمهم وتجعل من الشعوب المقصورة يلجأون الى السخرية كمتنفس من الضغط والضيق حيث هناك الكثير من النوادر والفكاهات التي تصوّر الحالة السياسية " ولهذا فاللتهكم السياسي اثر مزدوج فهو تنفيس عن المظلومين المكبوتين وراحة لانفسهم وملهاة ومسلاة وثار وقصاص وهو ردع للظالمين وعظة لغيرهم وتأديب"[١٨].

مسرحيات ذات موقف هزلي ساخر هو الوصف الذي وصفت به مسرحيات اريستوفان الكاتب المسرحي الهزلي الاغريقي والذي عرفت اعماله الوان عديدة من السخرية تتضمن عدة تلميحات هازئة من السياسة والفلسفة آنذاك. حيث كانت أولى مسرحياته وهي (الاكرانين) (وهي مسرحية اريد بها السخرية التهكمية والهزء من الحروب وسخافتها) [١٩].

سينيكا((هذا الساخر كان يطلق قذائفه في كل اتجاه فتطايرت شظاياها لتنال من فئات ومؤسسات عديدة فأول من انتقدهم هم فئة المؤرخين اللذين يؤكدون على دقة مصادرهم ولايطلب منهم احد ان يقسموا على هذا وينتقد الشعراء المتخلقين اللذين يسبهون في الوصف الممل والفلاسفة وتضارب آراءهم))[٢٠].

والتهكم كان أسلوباً فعالاً لدى يونسكو والتهكم هو أسلوب من أساليب السخرية ومسرح العبث يؤكد على أن (السخرية من أقوى الأسلحة لزلزلة الأرض تحت أقدام الرياء والنفاق. ومن ثم كان التهكم موقفا أخلاقيا كما هو تعبير عن التمرد والتهكم لديهم ذو طابع مزدوج تدميري يحطم المظهر المألوف من ناحية وبناء يقيم عالم جديد من ناحية أخرى)[٢١].

ومسرحية الكراسي التي تصور لنا الشخصيات قد سلبت من كل شئ حتى ذاكرتها فأصبحت ضائعة لاتعرف حتى من اين تسلك الطريق الصحيح ومن أين يمكن الذهاب إلى تلك المدينة التي كانت تدعى باريس واليوم قد تغير حتى اسمها. ورغم ذلك هذه المسرحية لايمكن اعتبارها مسرحية كوميدية بل هي مسرحية تراجيدية بالمعنى الصريح ولكن (تراجيديات الإنسان نفسها ساخرة في جوهرها فمسرحية الكراسي تنتهي بموسيقي النصر التهكمية المغروفة على الطريقة المتبعة في احنفالات الأسواق الحدث الساخر)[٢٢]. وهذه المسرحية رغم طابعها التراجيدي فهي مسرحية ((بانتظار غودو)) هي المسرحية الأكثر شهرة ونجاحا مقارنة لمسرحياته الأخرى حيث نالت هذه المسرحية قدرا لايستهان به من الانتقادات والتفسيرات المتعددة لكن مايهمنا في هذه المسرحية هي المهزلة والتهكم الكامن في داخل هذه المأساة فصموئيل بيكيت يسمى مسرحيته هذه بـ((الملهاة المفجعة حيث يشير الى ان حياة الإنسان هي مأساة مفجعة وان كانت المهزلة في باطن هذه المأساة وهذه المسرحية هي تهكم لاحدود له))[٢٣] .

المبحث الثاني:

أثر البيئة (السياسية والاجتماعية) في حياة محمد الماغوط :

محمد احمد الماغوط ولد عام ١٩٣٤ في بلدة السلمية شرقي مدينة حماة وسط سورية وعاش ما بين سورية ولبنان ودولة الإمارات تلقى تعليمهُ في سلمية وحماة حتى التحق بالمدرسة الثانوية الزراعية بسلمية وحصل على الإعدادية الزراعية قبل ان يتوقف عن التعليم : عمل محرراً بمجلة الشرطة الصادرة عن وزارة الداخلية السورية كما عمل بالصحافة في عدد من المؤسسات الصحفية في لبنان والإمارات العربية المتحدّة .

الماغوط شاعراً بالدرجة الأولى لهُ عدة دواوين شعرية منها " حزن في ضوء القمر ١٩٥٩ ، غرفة بملايين الجدران ١٩٦٠ ، الفرح ليس مهنتي ٢٠٠١ ، وهو شاعر مجدد نجحت قصائدهُ في تحريك ميل الشعر الراكدة احد رواد القصيدة الحديثة في الشعر العربي اعتمد الشعر صيغة للتغيير ، قالت عنهُ زوجتهُ الشاعرة " سنية صالح " " ان مأساة الماغوط انه ولد في غرفة مسدلة الستار اسمها الشرق الأوسط ، وذروة هذهِ المأساة هي في إصرارهِ على تغيير هذا الواقع وحيداً لا يملك من أسلحة التغيير سوى شعره " [٢٤] عُرف الماغوط كشاعر وأديب في بيروت وعلى يد ادونيس زوج خالدة أخت سنية صالح حيث قرأ اودنيس بعض من شعر الماغوط في مجلس للشعر دون ان يعلن عن اسم الشاعر فظن المستمعون انه شعر لـ يودلير اورامبو .

لقد كان الماغوط دوماً طامحاً إلى بلوغ الحرّية عن طريق الحداثة حداثة السياسة والثقافة وحداثة المجتمع كل هذهِ الحداثات اختصرها الماغوط في شخصهِ وأدبه وبقيت مطامحهُ وأحلامه خارج زمانهُ ومكانهُ . فكان بقلمهِ وبدم هو الحبر حاول فك الحصارات عن أنفاسه فكانت مأساة السياسة هي التغيير المستحيل في هذا العالم العربي المسجون في خوفهِ حيث لا يصح الا التقليد ومحاربة التجديد . [٢٥]

وحتى في شعرهِ نجد شيء من المسرح فهو محاور ذاتي وموضوعي ومحمد الماغوط كتب الشعر وكتب المسرحية ولهُ مقالات جمعت في كتاب " سأخون وطني " وهي انعكاس لسيرة حياتهِ فهو قبل ان يخون انذر بالخيانة وقال انه يعتزم ان يخون وطنهُ في زمان تتم فيه أفعال الخيانة سراً . ويقول الماغوط ان هناك نوعان من الأوطان أوطان حقيقية وأوطان مزورة .

والماغوط لهُ عدة مسرحيات مثلت لكنها لم تطبع كغيرها للتمثيل ولدريد لحام منها كأسك يا وطن و شقائق النعمان وضيعة تشرين وغربة وأيضاً لهُ عدة مسلسلات تلفزيونية مثلها دريد لحام أيضاً منها وادي المسك وأين الغرام وفيلمان سينمائيان أيضاً مثلهما دريد لحام منها الحدود والتقرير وأيضاً كان الفنان دريد لحام يشاركهُ أحياناً في كتابة بعض النصوص المسرحية . [٢٦] ومحمد الماغوط واحد من اللذين يؤمنون إيماناً كاملاً بمقولة " لو كان الفقر رجلاً لقتلتهُ " حيث عانى الماغوط في حياتهِ معاناة لا مثيل لها من جوع وخوف وحرمان وتشرّد في الأزقة وكل هذا انعكس بشكل ايجابي على شعره وكتاباته وتمرده وعشقه للحياة[٢٧].

ولقد كان لحياة الماغوط المرّة انعكاس على حياته وأعماله حيث كان لمقالاته السياسية بالخصوص بكل ما تحمل من وأفكار ناقدة ومعاناة الأثر في تكوين مسرحيتهُ "حكاية بلا حدود " والتي كانت عبارة عن مجموعة مقالات سياسية للماغوط في عدد من الصحف والمجلات العربية . ونجد ان مسرحيات الماغوط هي استعراض بحدة الناقد الاجتماعي والسياسي القانط . الواقع العربي . بتنا قضاتهِ وظواهره ومؤسساتهِ عموماً قد صدى للقضايا الاجتماعية وللقضايا السياسية من الباب الكوميدي اللاذع أحياناً ومن الباب الميلو درامي أحياناً أخرى ومن الباب الواعظ

والمبشر أحياناً . [٢٨] ويؤكد الماغوط على ان الإنسان الجاد جداً والذي لا يتخلى جديتهُ هو إنسان مريض لذا فان كتاباتهُ كانت مليئة بالنقد واالنقد اللاذع هنا هي ذروة الألم فالكتابة الساخرة هي ابلغ تعبير عن الألم وعن الوجع ويؤكد الماغوط انهُ كان ساخر حتى من الألم لانهُ عاش ذروة الألم ولن يصادق الألم أبداً فيؤكد على ان وطنهُ بعيد ومنفاه بعيد . فيقول الماغوط أنا درست الزراعة لكي أكافح الحشرات البشرية . ولكني فشلت وكما يقول الإمام علي (ع) " الفشل شكل من أشكال الموت " ونجد من خلال سواد المقدم محمد الماغوط ان محمد الماغوط قد لازم المنزل لخمس سنوات لم يخرج منه ولم يعرف حينها سوى السجائر والكحول والسبب كان خيانة احد أصدقائه لهُ . ومحمد الماغوط اعتقل كثيراً وسجن كثيراً ويقول انه كتب أكثر كتاباته في السجن وعلى لفافة ورق السجائر ويقول محمد الماغوط أنا لا أفكر أبداً واكره التفكير وسياستي هي سياسة بلا تفكير ويؤكد الماغوط انه لم يتأثر بأي احد من الكتاب ولم يضيف أي من المخرجين اللذين تعامل معهم إلى أبعاد جمالية لنصهُ المسرحي . [٢٩]

ومحمد الماغوط من الكتاب اللذين اثرت حياتهم على ابداعاتهم الشعرية منها او المسرحية حيث سجن وعذب وعانى من الفقر والجوع والتشرد وهذا كله انعكس بفصد اوبغير قصد علىه حيث نجده متشاؤم من جهة ثائر من جهة اخرى فتاريخ حياته

ماسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات:

١- إن النفس البشرية تلجأ في غمرة قهرها وكربها الى سلاح التهكم كسبيل للتخلص من أعباء الحياة أي أن التهكم لدى الكاتب المسرحي ماهو الأداة للتخلص من ضغوط الحياة الخاصة والعامة على كافة الأصعدة الشخصية كانت منها أو المرتبطة بمايحيط بالكاتب من متغيرات سياسية او اجتماعية او اقتصاديه.

٢-إن اللذع والتهكم لونان من ألوان السخرية والسخرية هي النقد اللاذع الذي يلجأ إليه الإنسان عندما تضيق بوجهه منافذ الحياة وتتكشف حولهُ وسائل الإحباط لقدراتهِ. أو حينما يشرّع الشر أجنحتهُ وينقضُّ على كل ما هو نبيل

٣-أسلوب إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تغرى بمقاومتها والرد عليها وإيقاف مفعولها من غير أن يلجا إلى الهجوم المباشر أو يبدو في موقف يكون فيه هدف للانتقاد

٤-والكاتب الساخر هو كاتب اقرب ما يكون محارب في معركة لذا فتهكمه يجب ان يكون عاري من كل تزويق وصارم لا يخشى أحداً مهما كانت مرتبتهُ الاجتماعية ولا يكترث بشيء مهما كانت منزلتهُ

٥- ان القادر على التهكم هو " الشخص البارع التصوير ، السريع الملاحظة ، الدقيق المقارنة ، الحاضر البديهية ، المتخير اللفظ الموجز ، ذو الأسلوب السهل والكلمات المعبّرة والمعتمد على التعريض والتلويح والكناية والرمز واللفته والإشارة .

الإطار الإجرائي

أولاً : مجتمع البحث :

اشتمل مجتمع البحث الأصلي على (٧) نصاً مسرحياً كتبت داخل القطر السوري فقط للحقبة الزمنية من ١٩٦٦ إلى ١٩٩٩ وتوزعت هذهِ النصوص باتجاهات متباينة في شكلها ومضامينها البنائية حيث كانت بمثابة الترجمة الواضحة للتجارب الإنسانية حاول محمد الماغوط توضيحها بأسلوبهِ التهكمي المميز .

جدول رقم (١) يبين مسرحيات الماغوط

اسم المسرحية	سنة التأليف
١. المهرّج	١٩٦٦
٢. العصفور الأحدب	١٩٦٦
٣. شقائق النعمان	١٩٧٦ لم تطبع
٤. ضيعة تشرين	١٩٧٣ لم تطبع
٥. كاسك يا وطن	١٩٧٩ لم تطبع
٦. غربة	١٩٧٦لم تطبع
٧. خارج السرب	١٩٩٩
٨. المارسيليز العربي	١٩٧٨لم تطبع
٩. المحاكمة	١٩٧٤

ثانياً : عينة البحث :

لجأت الباحثة إلى الطريقة القصدية في اختيار عينة البحث وفقاً للمسوغات التالية :

١. تضمنت هذهِ النصوص أساليب تهكمية اتضح للباحثة ان لها دور في اغناء البحث لما تحملهُ من أساليب متعددة .
٢. ان مؤلفات الكاتب المتالفة من سبع نصوص مسرحية لم يطبع منها سوى ثلاث نصوص والتي اتخذت الباحثة اثنين منها كعينة للبحث .

جدول رقم (٢) يبين عينة البحث

ت	العينة / اسم المسرحية	سنة التأليف
١	العصفور الأحدب	١٩٦٦
٢	المحاكمة	١٩٧٤

ثالثاً : أداة البحث :

اعتمدت الباحثة على ماتم الإشارة إليهِ في الإطار النظري من مؤشرات لتحليل عينات البحث ، وكانت هذهِ المؤشرات أداة مساعدة للتحليل إضافة إلى مناطق الارتكاز التي حفلت بها مضامين النصوص المتخذة كعينات للبحث والتي ستصنفها الباحثة وتستخرجها كوحدات للتحليل

رابعاً : منهجية البحث :

اتبعت الباحثة في تحليل العينات المنهج الوصفي وهذا ما يتلائم ومتطلبات البحث .

خامساً : تحليل العينات :

العينة الأولى : ١٩٦٦

العصفور الأحدب :الفصل الأول :

لربما هي مسرحية دون حوادث مثيرة لكنها مجموعة من الصور لـ قزم وكهل وشاب وعازب وصانع أحذية وحارس وطائر ، حيث نجد ان هذا الطائر أو العصفور الأحدب يلازم تلك المسرحية الى نهايتها . حيث كل هؤلاء سجناء في قفص بشري في صحراء مجهولة حيث نجد انهم يعانون من القهر والوحشية والألم والذل والانكسار نستشف من خلال حديثهم انهم أصبحوا لكثرة ما عانوه من وحشية مجرد وحوش يريدون الانقضاض على أعداءهم وتقطيع لحمهم فكثرة الحقد تولّد الحقد حيث لا شيء في حياتهم سوى الغيوم الرمادية والقذارة وضمادات الجراح الملطخة بالدماء وذلك الحارس الذي يقف في باب ذلك القفص ليتهمهم بين الحين والآخر بانهم يشتمون الدولة دون ان يدرك ان الدولة هي التي نكثتهم من على أرضها كما تنكث الغبار والذباب أو القذارة وكأنهم ليسوا ببشر أسوياء .

وبين حين وآخر يظهر لهم ذلك الطائر الأحدب العجوز ليشبثوا بصورتهِ وكانهم لم يروا طائر من قبل أو لانه يعبر لهم عن الحرية . حيث كل واحد منهم يتصور الطائر بالشكل الذي يريدهُ فأحياناً يتصوره رصاصة وأحياناً امرأة وأحياناً أخرى سحابة مطر بيضاء أو قشة صغيرة تطير في الهواء . وهذهِ المسرحية كتبها الماغوط في السجن وسماها العصفور الأحدب لان سقف السجن كان منخفض جداً يجعل الماغوط ينحني حتى يصاب بالحدباء . يؤكد لنا الماغوط في هذهِ المسرحية على ان الإنسان أصبح كتلة من الانكسار والذل في مجتمع تقوده القيادات المتهورة وتبيح ما لا يعطي للإنسان قدر من الكرامة حيث الأبطال سابقاً أصبحوا مجرد كتل صماء في سجون لا اسم لها ولا عنوان ولا زمان . وهنا لا ترتبط الشخصيات بنوع الحدث لانه لا حدث يثير الاهتمام بل ان الشخصيات هنا مرتبطة بأبعادها وملامحها رغم فقدانها للاختيار في هذهِ الحياة .

. الكهل : لكن الزناد لا يطلقهُ إلا الزناد .

. القزم : لا يهمني سوى إصبعي الذي استخدمهُ لنكش انفي فقط . ص٥

وهنا فقط يصوّر لنا الماغوط شخوص مسرحيتهِ وكانهم قد هربوا من ماضيهم وتخلو عنه بغية الانتقام منه والتخلي عنه . حيث ان التهكم هنا من ان الإنسان أصبح عيناً عليهِ وان كان ماضي مليء بالبطولات والانتصارات وهذا واضح في التباين والتناقض بين حوار الشخصيات والتباين في وجهات النظر وفي إنماء التفكير حيث نقدهم وتهكمهم من وحدتهم الاجتماعية تؤدي بهم إلى فقدان التواصل فيما بينهم .

. الكهل : إذا كان ما يجري في عروقنا دم ذباب لا دم نسور أعطني خمس أصابع مطبقة بإحكام على شيء ما بإيمان لا غير لك العالم ووجه الأرض كما تغير قميصك هذا . ص٢٥١

ويتكرر هنا الاستهزاء والنقد كما حيث يعمد الماغوط الى ذلك واصفاً مدى ذلك التغيير الذي أحدثهُ هؤلاء الشخوص ومدى الانقلاب الذي حدث بعدهم وجعلهم لا شيء لانهم تغيرهم كان وقتي سرعان ما جاء زمن آخر ليقلب الأشياء .

. القزم : وماذا فعل بونابرت هذا ؟ حرق موسكو .

. الكهل : ورمادهم لم يكن كافياً لطمر جيشهُ وطبولهُ وجرحاه .

. القزم : ليذهب إلى جهنم هو وهتلر .

. الكهل : لقد هزّ هتلر العالم .

. الشاب : وهزتهُ خليلتهُ كطفل وهو راقد في حجرها ينتحب . ص ٢٥٢

والكثيرين يؤكدون على ان المسرح قد خرج من الشعر وهذا هو الحال مع محمد الماغوط حيث مسرحه الأشعار والقصائد حيث كوّن من قصائده داخل المسرحيات دراما مصغرة مشتملتاً على ذلك الألم المتهكم من الحياة ومن الظلم .

. القزم : انك بحاجة إلى الحرية لتنقضَّ كل شيء

غداً عندما تهرول في الساحة الدرامية

هابطاً الدرج دون غبار خلف القدمين

لان الغبار راقدً في الأطعمة والجراح

ودمع الرفاق القدامى

رافعاً يديك لجلاديك

مستميحاً العذر

كي تقبل الوط الفاني

مع انك واثق بانه مرتو حتى

آخر ذرة فيه بدم الرفاق ودمك ص ٢٥٤

هنا نعود لنجد شيء من التهكم الثقافي حيث يصوّر لنا الماغوط ان المثقفين ما هم إلا مجموعة من النعومة والود حيث لا شيء يفرقهم عن الآخرين سوى انهم يحملون أكفانهم دونما هوية .

ـ الشاب : لا اعرف بالضبط ماذا أكون في مثل هذا المكان فالمثقف يطرح هويتهُ على حافة العلم كما تطرح المستحمة سروالها على حافة السرير . ص ٢٥٩

حيث ان التهكم هنا نابع من الم . . الألم الذي يجعل من العلم شيء لا معنى لهُ في صحراء لا زمان ولا مكان لها وباطن المسرحية لربما هو حامل للهدف الذي أراد الماغوط ان يظهره وان يقول به ان السياسة لها نوايا لا حدود لها يمكن ان يبرد وصايا النوايا الطيبة لكن حين تتجاهل الأسباب وتمضي دونما أي سؤال حينها قد تكون سياسة تدّب في جسدها قضايا ساخرة تتهكم فيها الشخصيات من ذواتها .

ـ صانع الأحذية : لا اعلم لماذا اعتقلوني لا اعلم . وليضربني الله بمطرقة على راسي ان كنت اعلم كل ما هنالك اني كنت اعمل كحذاء . ص ٢٦١

وفي نهاية هذا الفصل يظهر لنا الماغوط التهكم السياسي من عيشة تلك الأنظمة التي لا يعرف لها حدود حيث تختفي ما تشاء وتظهر ما تشاء ومتى تشاء .

ـ الحارس : لتكن ثيابكم نظيفة وجراحكم لائقة يا رجال ولتفرك الأظافر والأسنان المقتلعة على حافة العتبة . ولتعد إلى مكانها نوراً ولتكن آثار الكدمات نظيفة ولائقة أيضاً كآثار القبل فالريح جاهزة وسط الصحراء . ص ٢٦٧

الفصل الثاني

ينقل بنا هذا الفصل إلى معاناة الفلاح المهمل والذي تتشقق أرضهُ وتموت سنابلهُ من الجفاف وعدم عناية الدولة بها حيث شخوص هذا الفصل هم فلاح مهمل وزوجتهُ التي أتعبها عناء وأطفال عراة قذرون وامرأة حبلى لا تقوى على النهوض وأناس كثيرون ينتظرون قدوم المندوب الزراعي عسى ان ينقل سوء أحوالهم إلى الدولة وينتشلهم من الجوع والفقر والعطش ولكن المندوب الزراعي لا يأتي بل يأتي بدلاً عنه مندوب صناعي يحمل بضع ورقات يلقي ما تحويه عليهم ويُظهر لنا الصورة المؤلمة التي تعامل الدولة بها الفلاح في تلك الفترة . وفجأة تسقط احد ورقات ذلك المندوب يسرع الجد إلى التقاطها ويناولها إياه فهذا الجد الذي كان بطلاً في المعارك والحروب انذل كبرياءهُ وتمرّغ جبينهُ بالوحل حيث كان مثالاً للشجاعة أما اليوم فهو مثال للذل والخنوع وفي تلك اللحظة يرحل المندوب ولا يبقى سوى اللوم والكلمات القاسية لذلك العجوز الذي انحنى رأسه للمندوب حينها لا يجد العجوز من مهرب سوى ان يأخذ معه عصفورهُ العجوز وينتحر حينها تجلس العجوز باكية قرب جثتهِ ومجهره بكلماتها التي تصوّر مدى القسوة التي يعانيها الفلاح فهم إذا تكلموا حصدهم الرصاص وإذا سكتوا لم يحصدوا سوى الجوع والذل .

لقد عالج الماغوط في هذهِ المسرحية ذلك الوضع الاجتماعي والاقتصادي للفلاح بعد ان حلت الصناعة محل الزراعة وصوّر لنا مدى الانكسار الذي أصاب الفلاح بعد ان كان هو البطل وهو الأول في القيادة حيث صورها لنا بصورة تنقد بها الشخصيات بعضها تهكمات مؤلمة.

. المندوب الصناعي : ناولني تلك الورقة أيها العجوز .ص ٢٨٤

وعندما ينحني العجوز الذي كان بطلاً لا ينحني أبداً إلا لذراعه عندما تقطع أمامه . نجد انحناءهُ هو تهكم من الوضع القائم الذي جعل البطل ينحني ليغدوا كلب سلوقي جرب .

. الجدة : لماذا لم يلتقطها المندوب لماذا تلتقطها أنت لماذا تنحني كسلوقي جرب . لقد انتهى كل شيء وديست كرامتنا بالأقدام . ص ٢٨٥

ومن ذلك نجد ان الماغوط في هذه المسرحية سعى إلى إبراز تلك القضايا المؤلمة التي تقصف بالفلاح بطريقة ساخرة لعل في ذلك رغبة منه في تصوير مدى تفكك الأوضاع الاجتماعية التي تعصف بشخوص كانوا هم الأسياد والآن أصبحوا مجرد أداة للانكسار حيث انحناء العجوز على الورقة هي الحدث الأكبر في هذه المسرحية والذي يجعل من النهاية في هذا الفصل نهاية حزينة تصوّر لنا الأبطال مجرّد أذلاء لا نهاية لهم سوى الانتحار .

ان الماغوط هنا لم يهتم بالحوادث والحبكات قدر اهتمامه بالصور والأفكار والمشاعر التي تعكس مدى الظلم السياسي الذي يجعل من الإنسان عاجز ذليل لا بديل أمامه للعيش سوى الانحناء والانكسار .

. العجوز : هيا لنأخذ أكياسنا ونعرضها على الطاولات هيا ضعوا أكياسكم على ظهوركم .

. الحبلى : ولماذا لا نضع في أكياسنا بعض من التراب اليابس والقس الجاف أو حتى بعضاً من سعال أطفالنا اللذين لا يكادون يتنفسون . ص ٢٧٣

وهنا نجد ان الشخصيات بدت وكأنها قد وصلت لدرجة لا تخشى بها الحديث علناً عن تلك الدولة التي تضع الفلاح البائس تحت قدميها وكأنه سمك صغير وهم الأسماك الكبيرة .

. الجدة : أسمعتم نهاية أحلامكم التعيسة هذهِ ؟ ستأكلكم الأسماك الكبيرة فور انزلاقكم إليها فإلى أين تذهبون في النهاية ؟ ص ٢٧٤

حيث يحاول الماغوط رصد صور متعددة لمعاناة الإنسان في ظل واقع مؤلم مبني على إقصاء الذات الإنسانية حيث نجد ان تهكمه في هذهِ المسرحية تتدرج ضمن حوار الشخصيات ومواقفهم آزاء المندوب الزراعي الذي لم يأتي وحل محلهُ المندوب الصناعي وهنا يوضح لنا الماغوط ان الزراعة لم يعد لها شان فالصناعة أخذت الحيز الأكبر والصناعيين هم اللذين سيقصون الفلاح ويحلون محلهُ .

الفصل الثالث :

وهنا نجد ان الكهل في الفصل الأول من المسرحية قد أصبح أميراً وشاباً بعد ان كان سجيناً في قفص بشري و العازب يصبح قديساً يشير نحوه الناس بالبنان . وبعد ان كانوا يعيشون في قفص في صحراء لا عنوان لها يعيشون اليوم في قصر من الرخام تحيط بهِ الأشجار من كل جانب . ولكن القصر قد جعل نفوسهم تتبدل فالكهل الذي كان يحب كل الناس أصبح اليوم محباً للدماء حيث ينفجر حقدهُ على المواطنين فيعذبهم وينتقم منهم اشد انتقام وينكر أصلهُ وأصدقائهُ حتى القزم الذي كان صديقهُ في السجن . والقزم يتألم لنكران صديقهُ لهُ . والعازب الذي كان مصاب بالشذوذ الجنسي يصبح قديساً ويتلوى تحت الثياب الحريرية كافعى .

وهنا يحاول الماغوط ان يعكس لنا مدى التغيير الذي يصيب الإنسان ما ان يعتلي منصب ما وهذا واضح من خلال حوار الشخصيات " القزم . والأمير " حيث يحاول الأمير ان يصبّ حقدهُ على الماضي الذي جعلهُ يأكل الطيور وهي حية والماضي متمثل لهُ بصورة القزم الذي جاء لطلب العون منه لانه فقد أطفاله وزوجته ولم يعد يمتلك شيء لكن صديقه الأمير يقابلهُ بالاستهزاء والنكران ويهددهُ في انه ان لم يخرج من القصر سوف يطلب من حراسه ان يعيدوه إلى ذلك القفص البشري في الصحراء . ولكن القزم يقول له ان الحرية ليست سوطاً وقفازاً وبصاقاً حول الشفتين انهما وقبل ان ينطق بها يأمر الأمير بإطلاق الرصاص عليهِ .

لعل التهكم هنا هو تهكم للحكام وللذين يجلسون على الكراسي الحاكمة والمسؤولة دون ان يلتفتوا إلى الوراء ويدركوا انهم كانوا مجرد أشخاص مظلومين من قبل أصحاب الكراسي. حيث يصبح الحاكم مجرد ظالم يحاول ان يصب غضب حياته اليائسة في أي شيء كان أمامه حتى وان كانت السماء .

. الأمير : قلتُ لتمطر السماء .

. الحاشية : ولكنها لا تمطر يا سيدي .

ـ الأمير : أطلقوا الرصاص عليها . . ضعوا السلالم واصعدوا إليها هزوها كالعرائش واتركوا شعبي يلتقط مطره بين قدمي . ص ٢٨٩

وبأسلوب ساخر جاء على لسان القزم الذي أنكر الأمير صداقتهُ بهِ نجدهُ يصف الحكام على انهم مجرد حشرات .

. القزم : انكم حشرات حشرات مدفونة في عدد لا يحصر من القمصان والسراويل لا ترون الفقر الا من خلال المدافع او مرايا التاكسي . ص ٢٩٤

ومن خلال الناقض والتباعد تبرز روح التهكم السياسي بصورة واضحة حيث ان الأضداد تخلق شيئاً قد يكون غير مألوف والتضاد الأول كان عندما يصبح السجين أميراً والشاذ جنسياً

قساً . ويأتي التضاد الثاني على لسان الأمير عندما يخاطب الخادم على انه صديقهُ وصديقهُ القزم يخاطبهُ وكانهُ ذبابة قذرة .

. مرافق الأمير : ما تفعلهُ خطيراً يا سيدي . يجب ان لا تنسى ان قشوراً كثيرة من لحمك ودمك وشرفك ما زالت طافية في بواليع السجون . وان الشعب هو الذي لملم الكثير منها . ص٢٩٦

. الأمير : قل ما تشاء يا مرافقي الطيب الحنون لانك صديقي الوحيد في هذا العالم . ص٢٩٦

ثم يكون النقد اللاذع في أعلى مراحلها عندما يبدل الأمير ويعتبر المرافق الخاص بهِ وصديقهُ الوحيد مجرّد ورقة سقط عليها الحبر ويجب ان تهمل إذ لا فائدة منها بعد الآن .

. الخادم : لقد انتحر مرافقك الخاص يا سيدي ألا تريد ان تلقي عليه نظرة .

. الأمير : لا وقت لدي . أرسله لي مع البريد غداً .

وهنا يبدأ اسلوب التهكم بالوطن تهكمالاذعاً الذي نهشهُ الملوك والأمراء وأصبح كالسمكة التي لم يبق منه سوى العظام التي مصيرها لسلة القاذورات قبل ان يبتلعها احد آخر .

. الأمير : ليذهب الجميع إلى الجحيم المهم ان يبقى الوطن .

. الأصوات : نعم . . ولكن كسمكة لم يبق منها سوى الحسك . ص ٢٩٩ *

التهكم في هذهِ المسرحية جاء وكما سبق لنا القول ذلك الانقلاب الذي يحدث للإنسان عندما يمسك زمام الأمور بيدهِ وحاول الماغوط ان يصوّر ذلك التضاد والتضارب في أقوالهم وأفعالهم والنقد هنا سياسي اجتماعي واضح رغم ان الحزن والمأساة هي الباعث الأول للمسرحية لكن تبقى المأساة والحزن والألم هو الباعث الأول للتهكم اللاذع الذي وجدناها عند الماغوط .

العينة الثانية :

المحاكمة

عنوان المسرحية يدل على ما يدور في المسرحية من أحداث فالمسرحية عبارة عن محاكمة لعائلة غنّت للمطر والحب فشخوص المسرحية هم القاضي الذي يأمرهُ الحاجب واللذان قد تبادلا الأدوار فالقاضي ينادي الحاجب بـ " سيدي " والحاجب هو الذي يأمر القاضي بالحديث أم المتهمون فهم رجل وزوجتهِ وطفلاه والمجني عليهِ هو الجاني وهو رجل شرطة " الجريح " والتهمة لم تكن سوى رقصات وغناء من قبل الأطفال ووالديهما للعصافير والفراشات والأحلام الصغيرة وكانوا جميعاً يسيرون بهدوء وهذا كلهُ لا يتفق مع ما يتطلبهُ وطنهم من صلابة وفجأة سقط المطر فاخذ الزوج يقبل زوجتهُ ذات الملابس الممزقة لشدة الفقر وصرخا الجميع " يحيا المطر والحب " وكانت هذه الكلمات بمثابة الانتفاضة التي جعلت الشرطي يركض نحوهم ويطلب هوياتهم الشخصية وعندما حاول الطفل الصغير اللعب مع الشرطي أعطاهُ طابة زرقاء صغيرة فاعتبرها الشرطي اهانة لا سيما وان الطفل كان " يضحك " عندها لم يجد بداً من تأدية واجبهِ فأطلق الرصاص على الطفل وعندما جن جنون الوالدين وضربا الشرطي بسنابل القمح

اليابسة على وجههِ حينها خرج الدم . لذلك كان لابد من توقيف هذهِ العائلة لاعتدائهما الواضح على الشرطي الذي كان يؤدي واجبهُ عندما قتل الطفل ولكن المحكمة كانت رؤوفة عندما وقفت الأب فقط أما الأم ففرضت عليها الإقامة الجبرية في صحراء من الرمال مع مصادرة كافة أمشاطها وأقراطها ومنعوها منعاً باتاً من الحنين إلى طفلها أما الأطفال فقد تم الحجز عليهم في قفص صغير للأرانب في صحراء أخرى وحُرّم عليهم اللعب ومصادرة كافة لعبهما المنقولةُ وغير المنقولة وكان هذا قرار قطعي غير قابل للطعن .

التهكم في مسرحية المحاكمة :

من الوصف الذي يصف بهِ محمد الماغوط قاعة المحكمة نجد التهكم واضح فخلف القاضي تتدلى السياط المجدولة والحاجب الذي يقف خلف القاضي مدجج بالسلاح أما خلف المتهم فهي صورة لجمجمة وعصفور . . وهنا نجد التهكم السياسي واضح حيث القاضي يعلن عن حقيقة تعاملهُ مع العدالة وهو تعامل بالسياط ليس ألا والتناقض الذي تحمله الصورة خلف المتهم توضح لنا مدى قدرة عصفور صغير ان يحيل الإنسان إلى جمجمة وهذا ما حدث فعلاً مع المتهم حيث ان غناءهُ وحبهُ للعصافير وللحب هو الذي جعلهُ يقف في قفص الاتهام .

والتهكم الاجتماعية في هذهِ المسرحية يصوّر لنا حوارات الشخصيات مدى التعامل السيئ الذي يعامل بهِ أصحاب النفوذ والطبقات العليا لأصحاب الطبقات الدنيا .

. المتهم : لقد تقدمت بما فيه الكفاية يكاد انفي يلامس حذاءك .

ـ الحاجب:وماذا في الأمر انه أنظف من كل أنوف العالم انه الممثل الشخصي لمولانا الأمير .ص٥٠

ونجد مدى التناقض القائم داخل المحكمة حيث القاضي هو الأداة الطوعية بيد الحاجب وهذا ان دل فيدل على ان حكامنا ما هم إلا أدوات يحركها الآخرون المستترون خلف الستار .

والتهكم السياسي هي السخرية الأولى في هذهِ المسرحية وان صح قولنا هي التهكم من الدولة ومن سياستها ومن عدالتها المعوجة كاعوجاج المخالب عندما تطول أكثر من اللازم .

. المتهم : ان عدالتكم وكل عدالة العالم تختفي وتبرد كمخالب القط ساعة تشاء ولكن ما اعرفه انه مهما تكن تلك المخالب صلبة وحادة فهي مقوسة . ولذلك فمن المستحيل ان تسير بشكل مستقيم .ص ٥٢

والمتهم هنا يحاكم رغم انه لا يدرك ماذا فعل وما هي تهمتهُ والسرية الأكبر ان الحاجب يعترف :

. الحاجب : تعرف تهمتك أو لا تعرفها فستحاكم بموجبها .

. القاضي : منذ ألف عام أو بعد ألف عام لا نذكر . . شوهد المتهم بصحبة امرأة حنطيه ممزقة الثياب مع عدد من الأطفال يسيرون ويغنون تحت الغمام الشفاف وهذا لا يتفق مع ما يتطلبهُ الوطن من صلابة ومجد .

وهما يحملان سنبلتين جافتين باحترام بالغ وحنان لا يوصف ص ٥٢

وهنا تأتي إجابة المتهم مليئة بالتهكم المؤلم حيث يقول :

ـ المتهم : وما الجريمة في ان نحمل سنبلتين جافتين هل تريدون ان نحمل مسدسين لنكون مواطنين شريفين . ص ٥٢

والتهكم الواضح في تهمة الرجل هي نقد لما يحدث داخل المحاكم من ظلم واضح وهنا وصفها الكاتب ليعبر بها عن الم كبير وليكون بداخلها هدف واضح معلن أو غير معلن فالتهكم هنا تهكم موقف حيث يقوم الشرطي بقتل طفل لا ذنب لهُ سوى انه أعطاه طابة واخذ من بين يديه ورقة اخذ يلعب بها وعندما يجن جنون الأبوين ويضربان الشرطي بالسنابل على وجههُ بها يعتبر الشرطي مجني عليه والأبوان متهمان .

ـ القاضي : لقد سخروا من الشرطي وهو في قمة آلامهِ وضربوه على وجهه بالسنابل الجافة المتصلبة وهو لم يفعل شيء سوى انه طلب منهم بطاقاتهم الشخصية ولم يفعل شيء للطفل سوى انه عاقبهُ على ما فعلهُ بالورقة وضربهُ بالرصاص في صدرهِ . ص ٥٢

ومن ثم تأتي الانتقادات على لسان القاضي وهو يسخر من آلام ودموع الشعب الذي هو سبب في نزولها .

. القاضي لسنا بحاجة إلى مزيد من الدموع عندنا مستودعات منها ص ٥٣

فما هي قيمة بكاء فلاح مجهول بالنسبة لضحكات الأبناء العائدين من النصر . ص ٥٥

والتهكم السياسي هو نقد في الأساس من الحكام لأنهم هم اللذين يصنعون أساس العدالة في كل شيء والكاتب هنا صوّر لنا شخصية الحاكم ما هي الا أداة ظالمة في يد اشر ظلماً فالمعوّج هو الصحيح لديهم والصحيح والغالي من العيوب هو خطا يحاسب عليهِ القانون . وان وجدو حقيقة لا مهرب منها غيروها وزورها وأمروا الجميع بالخضوع لها وان كانت حقيق لا جدال فيها

. القاضي : ما لون عيون طفلك .

. المتهم : زرقاوان .

. القاضي : بل سوداوان وهذا ما هو مكتوب أمامي .

. المتهم : إذاً سوداوان .

. القاضي : وعمرهُ سنتان .

. المتهم : لا بل ثلاث سنوات .

. القاضي : قلت سنتين ولن أضيف ساعة واحدة بعد ذلك . ص ٥٦

والتناقض والتباعد هو الأساس في التهكم عندما يلتقي الشرطي " الجريح " و " الزوجة " في قاعة المحكمة حيث نجد ان الشرطي هو المجني عليه وبالدرجة الأولى أما الزوجة فهي مجرمة هي وطفلها القتيل من الدرجة الأولى . فكلمات الزوجة عندما وجدت ابنها مقتولاً هي اشد أثراً في المحكمة من طلقات الرصاص . وكرامة وكبرياء الشرطي هي الأهم والأكبر من روح طفل لا ذنب لهُ سوى انه ابتسم ابتسامة بريئة .

ودم الطفل لا شيء مقابل الأثر الذي تركهُ على وشاح الشرطي .

. الجريح : لقد حطما كبريائي بفأس كلماتهما ولطخا معطفي الجديد ووشاحي الجميل ولن يزول هذا الدم إلا بدمهما .

. الزوجة : ودم الطفلين الباقيين . أليس كذلك ؟ ما من مصبغة بشرية في العالم يمكنها ان تزيلها على وشاحهُ الجميل من دماء الملايين .

والتهكم الاكبر في هذهِ المسرحية تكمن في محاكمة طفلين لم يفعلا جرماً سوا إنهما لعبا كما يلعب أي طفل بالعالم . ولقد شاب شعرهما وأصبح بلون الثلج لشدة ما قاسوه من عذاب وألم دون ان يدركوا أنهم متهمين أم شاهدين . ولا يطلبان من الحياة سوى قطرة ماء حتى ان اضطروا إلى ان يضحوا بألعابهم .

. الطفل : أيها الحاجب سأعطيك دميتي ولكن أعطني قطرة ماء .

. الطفلة : سأعطيك شريطتي ومشطي الصغير ولكن أعطني قطرة ماء .

هنا يتضح لنا ان الماغوط قد عمد إلى مقارنة الماء باللعب والشرائط والأمشاط وذلك لرصد تلك الصور المتناقضة ما بين الظالم والمظلوم وحاول ان ينقل لنا تلك الصور المثيرة للألم والتي هي أعلى مراحل الألم عندما يعطي الإنسان أغلى ما لديه لمجرد ان يحصل على قطرة ماء فكيف ومحمد الماغوط يصوّر لنا ذلك الإنسان بهيئة طفل لا يدرك من الحياة سوى اللعب والضحك وفجأة يصحو على شيب ملي رأسه وجوع وعطش لا حدود لهما . وكيف ينقل لنا أفكارهم في انهم يرفضون النمو لانهم راو من الحياة ما لا يستطيعون الاستمرار فيه .

. الطفلة : لا أريد ان أنمو يا أبي لان رأيت أكثر مما يحتمل في لحياة .

" تحت شجرة خريف جرداء في ليلة عاصفة " ص ٦٢ *

هكذا سيعدم الجميع الأب والأم والأطفال . لانهم فرحوا وادخلوا الفرح إلى قلوبهم ونفوسهم ولانهم جعلوا الشرطي يفقد أعصابهُ ويقتل طفلهم الرضيع . . وبعد ان يتم إعدام الجميع يدخل عصفوران صغيران احدهما يقول :

. إذا نبتت زهور ما . .

. قد لا تنبت زهور ما . .

حيث حاول الماغوط هما ان يجمع ما بين الحرية والطيور وما بين الزهور والموت والدماء حيث ان كل شيء لا بد لهُ ان يقمع تحت رداء اسمهُ الدولة والحكومة حيث لا شيء مهم سوى الصلابة والحروب والقتل والموت وهذهِ هي شجاعة وصلابة الدولة القادرة على مواجهة الدول الأخرى إذ حاول الماغوط ان يقول لنا وان يوجه لنا تساؤل كبير . . هل نحن أدوات بأيدٍ تحركنا كيفما تشاء ومتى تشاء وحاول ان ينتقد ذلك الوضع وتلك السياسات التي لا تعرف الزهور ولا تعرف الطيور ولا تعرف للحب طريقاً سوى طريق الموت .

الاستنتاجات:-

١-ان المكون النفسي كان هو السائد من بين المكونات الاخرى، مما يدل على ان النص المسرحي التهكمي ينبغي ان يتعامل مع الجانب الانفعالي للفرد بشكل كبير.

٢-التأثير الفكري والاجتماعي يشكل منظومة بنائية (بناء الشخصية) تتعلق بمدى إحساس الشخصية اتجاه ما يوجهه الكاتب من صدمات اجتماعية واقتصادية وفكرية.

٣- التهكم الاجتماعي يحقق عدة فوائد او لهما ان المجتمع فيما يبدوا من عيوب يضيق بها كثير من الناس وهم لا يستطيعون ان يحبسوا ضيقهم ولا يستطيعون في الوقت نفسه ان يقاوموا هذه العيوب وبالتالي لا يجدون سوى التهكم بهذه العيوب ليخففوا عن آلامهم .

٤-ان التهكم في النص المسرحي شانه شان الأساليب الدرامية المتعددة والتي تتخذ من الموقف والكلمة والشخصية أساساً لها في التعامل مع الحدث المسرحي

٥-يتخذ التهكم عدة وجوه منها السلبية ومنها الايجابية فالسلبية هي التي تحاول الهدم دون البناء لكن التهكم الايجابي والذي يعمد الى الإصلاح والبناء والتوجيه والتعديل هو التهكم الذي نجده في نصوص محمدالماغوط.

النتائج

٢- مسرحية(العصفور الأحدب)

التهكم السياسي كان الأساس في هذه المسرحية حيث يصف الماغوط الذل والخنوع الذي يعيشه الفرد والذي يحاول ان يعكسه على واقعه من خلال شخصية الأمير الذي كان سجينا وأصبح أميراً بعد ذلك لينقلب وحشا يسفك دماء المواطن بلا رحمة وأراد الماغوط من خلال هذه الشخصية إبراز ذلك العنف السياسي الذي يولد الحقد والضغينة حيث يريد الماغوط أن يقول أن الظلم يولد الظلم ويؤكد على أن الإنسان الذي يهان يضطر إلى تفجير ظلمه بالآخرين .وأيضا هناك التهكم الاقتصادي حيث أن فوضى النظام ولدت الفوضى الاقتصادية في المجتمع حيث أصبح الفلاح يعاني من الانقسام الطبقي والظروف المعيشية التي سلخت جلده وكرامته بلا رحمة .حيث ربط الماغوط الوضع الاقتصادي بالوضع السياسي الذي يفتقر إلى الضبط والتخطيط.

٣-مسرحية(المحاكمة)

كانت الشخصيات في هذه المسرحية جملة من أفكار وصور ومشاعر مشحونة بلا انفعال.ويتهكم الماغوط من خلال تلك الشخصيات من علاقة الحاكم بالشعب وكذلك يتهكم من تلك الإدارات الفاسدة كإدارات المحاكم التي يكون فيها القاضي مجرد أداة بيد الحاجب.ونجد أن التهكم السوداوي اليائس هي الميزة الأساس لهذه المسرحية.وسخر الماغوط من تلك الدولة التي تسفك دماء المواطنين لأنهم غنوا للحب وللطيور وللمطر. لسان شخصياته إن الدولة لاتريد سوى الحروب والدماء وهذا هو مثال الصلابة والبطولة وليس الحب والطيور والزهور.التي لاطريق لها سوى الموت .

ثالثاً: التوصيات

١-استكمالاً لحيثيات البحث توصي الباحثة بدراسة العلاقة بين القيم التربوية وعناصر البناء الدرامي لدى الكتاب العرب اللذين تغلب شهرتهم الشعرية على شهرتهم المسرحية.

رابعاً: المقترحات

تقترح الباحثة إجراء:

١- دراسة مقارنة بين التهكم الايجابي والتهكم السلبي في النص المسرحي .

٢- دراسة مفهوم الاستهزاء اللاذع في النص المسرحي العراقي.

الهوامش

1) للمزيد ينظر :ابن حجة الاموي ،خزانة الادب وغاية الارب ،(القاهرة :المطبعة العامرة للكتاب)، د.ت ، ص١٢٢.

(2) احمد محمد الحوفي، الفكاهة في الادب اصولها وانواعها ،ج١،(القاهرة:مكتبة نهضة مصر الفجالة)،١٩٥٦،ص٧٢.

(3)احمد ذياب،اسلوب التهكم في القران الكريم،(عمان :الجامعة الاردنية)،٢٠٠٥.ص٢٣

(4) سورة غافر / ٨٣ هذه الآية مكية ،انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، الجزء١٥ ، ص ٢٥٧.

(5) انظر أحمد المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء ٢٤ ، دون ذكر الطبعة ، دار الفكر ، دون ذكر مكان لدار النشر ، دون ذكر تاريخ الطبعة ، ص ١٠٠

(6) للمزيد ينظر:ا: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ١٩٨٢

(7)شوقي ضيف، الفكاهة في مصر ، كتاب الصلال سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال ، العدد ٨٣- ١٩٥٨، القاهرة ، ص١٣.

(8) أحمد عطية الله، سيكلوجية الضحك والفكاهة ، ط٢ ،(القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥) ص٢٢٧ .

(9) زكريا ابراهيم،مصدر سابق ، ص١٢١.

(10)عادل العوَا ،اخلاق التهكم ،(دمشق :دار الحصاد للطباعة والنشر،١٩٨٩) ،ص١٨.

(11) محمد رجب النجار، جحا العربي ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ، ١٩٩٠ ، ص١٢٣ .

(12)محمد رجب النجار، جحا العربي ، المصدر السابق ، ص٢٣٠.

(13)احمد محمد الحوفي، الفكاهة في الادب اصولها وانواعها ،ج٢،(القاهرة:مكتبة نهضة مصر الفجالة)،١٩٥٦، ص١٠٢.

(14) شفيق جبري ، الجاحظ ،(القاهرة : دار المعارف) ،١٩٦٦ ، ص١٩٩.

(15) الحوفي ،مصدر سابق، ص٦٦.

(١٦) يوسف عبد المسيح ثروت ، مسرح اللامعقول ، (بيروت ، ١٩٧٥) ص ٥٧ .

(١٧) السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، ط ١ (طرابلس : الدار الجماهيري للنشر والتوزيع والإعلان) ١٩٨٨ ، ص ١٣١

(18)عادل العوا ،اخلاق التهكم، مصدر السابق ص٥٥.

(19) الاراديس، نيكول، المسرحية العالمية، ج١، مصدر سابق ص١٣٠.

(20)هانم محمد فوزي، فن الساتورا، دراسة في الأدب الساخر عند الرومان، قاهرة: المجلس الأعلى للثقافة)، ٢٠٠٢، ص٢٢٠.

(21) نعيم عطية، مسرح العبث مفهومةوجذوره وأعلامه،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٢، ص١١.

(22) موليت ميرشنت، ، وكيلفورد ليتش ، الكوميديا والتراجيديا ، ت : علي احمد ، (الكويت : مطابع اليقظة ، ١٩٧٨) ،ص٨٢.

(23) بهاء طاهر، حول مسرحية بانتظار غودو، مجلة المسرح، ع١، اسنة الأولى، ١٩٦٤، ص٨٧.

(24)معجم البابطين لشعراء الحرية في القرنين التاسع عشر والعشرين (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري ، المجلد ١٦ ، الكويت ، ٢٠٠٨) ص ٤٨٣ .

(25)خليل احمد خليل ، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ٢٠٠١ ص ١٠٢٧ .

(26) المصدر نفسه ، ص ١٠٣٠

(27)محمد عيسى ، محمد الماغوط الخائف الثائر ، جريدة المدى : العدد ١٤١١ السنة السادسة ، الخميس ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٩ .

(١) ينظر : بول شاؤول ، المسرح العربي الحديث ، ص ٥٢٥

(٢) برنامج " روافد " من قناة العربية ، من لقاء مع محمد الماغوط أجراه المقدم : احمد علي الزين ، تاريخ الحلقة ٢٣ / ٧ / ٢٠٠٤

* الصفحات هي للمصدر الاتي(الماغوط ، محمد ، أعمال محمد الماغوط ، (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر) ١٩٩٨ .

* الصفحات للمصدر الاتي(محمد الماغوط ،مسرحية المحاكمة، ، (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر) ٢٠٠١.

المصادر والمراجع:

١- الاموي ،ابن حجة ،خزانة الادب وغاية الارب ،(القاهرة :المطبعة العامرة للكتاب)، د.ت .

٢- ضيف،شوقي الفكاهة في مصر ، كتاب الصلال سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال ، العدد ٨٣-١٩٥٨، القاهرة.

٣-عطية الله ، أحمد ، سيكلوجية الضحك ، ط٢ ،(القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥).

٤- إبراهيم ، زكريا ، سيكلوجية الفكاهة والضحك ، (القاهرة : دار مصر للطباعة ، د. ت) .

٥- العوّا ،عادل اخلاق التهكم ،(دمشق :دار الحصاد للطباعة والنشر ١٩٨٩).

٦- النجار،محمد رجب ،جحا العربي ،(الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ، ١٩٩٠ .

٧- شفيق جبري ، الجاحظ ،(القاهرة : دار المعارف) ،١٩٦٦ ،

٨- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢)

[٩]- نيكول ، الارديس ، المسرحية العالمية ، ج١ ، ترجمة : عثمان نويه ، (بابل : المطبعة العصرية ، د.ت) .

١٠-هانم محمد فوزي، فن الساتورا، دراسة في الأدب الساخر عند الرومان، قاهرة: المجلس الأعلى للثقافة)، ٢٠٠٢،.

١١- عطية، نعيم ،مسرح العبث مفهومه وجذوره وأعلامه،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٢،

١٢- ميرشنت ، مولوين وكيلفورد ليتش ، الكوميديا والتراجيديا ، ت : علي احمد ، (الكويت : مطابع اليقظة ، ١٩٧٨) .

١٣- طاهر،بهاء ،حول مسرحية بانتظار غودو، مجلة المسرح، ع١، اسنة الأولى، ١٩٦٤،

١٤معجم البابطين لشعراء الحرية في القرنين التاسع عشر والعشرين (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري ، المجلد ١٦ ، الكويت ، ٢٠٠٨).

١٥-خليل ،احمد خليل ، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ٢٠٠١.

١٦- عيسى ، محمد ،محمد الماغوط الخائف الثائر ، جريدة المدى : العدد ١٤١١ السنة السادسة ، الخميس ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٩ .

١٧- شاؤول ،بول ، المسرح العربي الحديث ،(القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٢.

١٨- الماغوط ، محمد ، أعمال محمد الماغوط ، (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر) ١٩٩٨.

١٩-الماغوط ،محمد ،مسرحية المحاكمة، ، (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر)، ٢٠٠١.